نظم الدرر

فى تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر
برهان الدين أبى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ ـ ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامى
بالقاهرة

﴿ و الزكوٰة‌ص ﴾ التى هى طهرة المال ، كما أوصى الله بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و تقدم فى هذه السورة أنه سبحانه و تعالى أوصى بذلك عيسى عليه السلام ﴿ و كان عند ربه ﴾ ١لعبادته على حسب ما أقامته ربوبيته١ ﴿ مرضيا ه ﴾ فاقتد أنت به فانه من أجل آبائك ، لتجمع بين طهارة القول و البدن و المال ، فتنال رتبة الرضا .

و لما كان إسماعيل عليه السلام قد رفع بالسكنى حيا إلى أعلى مكان فى الأرض رتبة ، و كان أول نبى رمى بالسهام ، و كان إدريس عليه السلام - ١مع رفعته إلى المكان العلى١ - أول من اتخذ السلاح و قاتل الكفار ، و أول من نظر فى علم النجوم ٢و الحساب٢ ، و خط بالقلم ، و خاط الثياب ٢و لبس٢ [الجبة - ٢] . و كان أغربهم قصة ، و أعجبهم أمرا ، و أقدمهم زمنا ، ختم به هذه القصص [تأييدا لهذا النبى الكريم ، بما بين له من القصص - ٣] التى هى أغرب مما أمر اليهود بالتعنت فيه ، و إشارة إلى أن الله تعالى يؤتى أتباعه من علوم إدريس الأرضية و السماوية٤ مما يستحق أن يحفظ بالخط و يودع بطون الكتب لضيق الصدور عن حفظه ما لم يؤته أمة من الأمم ، و أنه يجمع شملهم ، و ترهيبا للمتعنتين بأنهم إن لم ينتهوا وضع فيهم السلاح كما فعل إدريس عليه السلام بكفار زمانه فقال : ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾ [أى - ٥] ٦الجامع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد ؛ و هذه المزايا قد ذكرها البغوى أيضا - راجع هامش اللباب ٤ / ٢٠٢ (٣) زيد من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : السمواتية (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى « المتأخرين » ص ٢١٦ س . سقطت من ظ .

قلت و فى لسان الميزان[١] لتلميذه شيخنا حافظ العصر ابن حجر عن الذهبي أنه كذاب ، و عن ابن حبان أنه كان يسوى الحديث ، أى يدلس تدليس التسوية . و فى تفسير البغوى[٢] عن وهب قريب من هذا ، و فيه أنه سأل ملك الموت أن يقبض روحه و يردها إليه بعد ساعة ، فأوحى الله إليه أن يفعل ، و فيه أنه احتج فى امتناعه من الخروج بأن كل نفس ذائقة الموت و قد ذاقه ، و أنه لابد من ورود النار[٣] و قد وردها ، و أنه ليس أحد يخرج من الجنة ، فأوحى الله إلى ملك الموت : باذنى دخل الجنة - يعنى : نخل سبيله - فهو حى هناك . و فى تفسير البغوى[٤] أيضا عن كعب و غيره أن إدريس عليه السلام مشى ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس فقال : يا رب ! فكيف بمن يحملها ؟ اللهم ! خفف عنه[٥] من ثقلها ، فخفف عنه فسأل[٦] ربه عن السبب فأخبره فسأل أن يكون بينهما خلة ، فأتاه فسأله إدريس عليه السلام أن يسأل ملك الموت[٧] أن يؤخر أجله ، فقال[٨] : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، و أنا مكلمه ، فرفع إدريس عليه السلام فوضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى ملك الموت و كلمه فقال : ليس ذلك إلىّ ، و لكن [إن - [٩]] أحببت أعلمته أجله

(١) ١/٧١-٧٢ (٢) راجع هامش اللباب ٣ /٢٠٣ (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الناس (٤) راجع هامش اللباب ٤ /٢٠٣ (٥) من ظ و مد والمعالم ، و فى الأصل : عند (٦) أى الملك؛ والرواية هنا مسرودة فى غاية الوجازة (٧) زيد فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) بهامش ظ : فاعل « قال » ضمير يرجع إلى الملك الذى خفف عنه من حملها (٩) زيد من ظ ومد و المعالم .

[١]فيتقدم فى نفسه[١]، قال: نعم! فنظر فى ديوانه فقال: إنك كلمتنى فى إنسان / ما أراه يموت أبدا، قال: وكيف [ذلك-[٢]]؟ قال: لا أجده يموت إلا عند / ٤٢٥ مطلع الشمس، قال: فانى أتيتك[٣] و تركته[٣] هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا [و -[٤]] قد مات، فو الله ما بقى من أجل إدريس - عليه السلام - شيء، فرجع الملك[٥] فوجده ميتا. و من جيد المناسبات أن إسماعيل و إدريس عليهما الصلاة و السلام اشتركا فى البيان بالعلم و اللسان، فاسماعيل عليه السلام أول [من أجاد البيان باللسان، و إدريس عليه السلام أول-[٦]] من أعرب الخطاب بالكتاب، فقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أول من فتق لسانه بهذه العربية إسماعيل عليه السلام[٧]. و لأحمد عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام[٨].

و لما انقضى كشف هذه الأخبار، العلية المقدار، الجليلة الأسرار، شرع سبحانه ينسب أهلها بأشرف نسبهم، و يذكر أمتن سببهم[٩] [١٠]هزا

(١-١) فى العالم: فيقدم لنفسه (٢) زيد من العالم (٣) من مد والعالم، و فى الأصل: تركه، و فى ظ: اتيته (٤) زيد من ظ و مد والعالم (٥) فى مد: ملك الموت.
(٦) زيد من ظ ومد (٧) وأيضا رواه الشيرازى فى الألقاب عن على وزاد بعده: و هو ابن أربع عشرة سنة - راجع الجامع الصغير ١/٩٧ (٨) لم نظفر به فى مظانه فى مسند أحمد. و رواه الحكيم عن أبى ذر بأكثر من هنا - راجع الجامع الصغير ١/٩٨ (٩) بهامش ظ: المراد بالسبب الوصلة بين الله و بينهم (١٠) العبارة من هنا إلى « فى السبب » ص ٢٢٠ س ١ ساقطة من ظ.